

تأثير العربية في سنغال

الأستاذ مالك النجاي «سنغال»

«... ما ترددنا عن فتح مدرسة عربية في كل من جنة وتمبكتو وسان لوي حيث يجد طالب العلوم الدينية تعليما فرنسيا رفيعا مع دروس النحو والفقه... والفكرة الدائمة لانشاء المدارس العربية الفرنسية هي ان تصير محل تلاق وتوافق بين العقلية القرآنية وروح العصر.» (1)

وهذا اقرار واعتراف بأنه وجدت وقتل عقلية قرآنية تستحق ان تنكف السياسة لجاراتها والسلوك معها مسلكا خاصا ، ومعنى وجود عقلية قرآنية كهذه هو وجود ثقافة عربية دينية راسخة يعتبرها الاحتلال الجديد منافسا لا يمكن الاغضاء عنه واخذ التدابير الحيلية للانتصار عليه .

ورغم اغراءات الحكومة وضغطها على الناس لارسال ابنائهم الى المدارس الفرنسية فلم تستطع ان تحمل الناس على الامراض من الكتابيب ، ويشهد التقرير الرسمي لعام 1912 على ان 633 تلميذا فقط هم الذين كانوا يتابعون ، مع استمرارهم على دروسهم القرآنية في الكتابيب ، دروس المدارس الفرنسية ، وهذا من بين 11.451 تلميذا الموزعين في كتابيب سنغال البالغ عددها في العام المذكور 1385 كتابا .

احتلت فرنسا سنغال والعربية هي اللغة الحية الوحيدة المستعملة فيه ، ووسيلة التفاهم بين الملوك في مناطقه المختلفة اللغات . كان الملوك يستعملون المستعربين للكتابة والترجمة ، واتخذوا منهم القضاة والمستشارين في الشؤون الدينية ، فكانت العربية لغة تدوين الوثائق من معاهدات وعقود ورسائل ، واتخذت فرنسا نفسها العربية واستعملتها في التفاهم في الاعلانات والمناشير التي تهم الخاص والعام من الاهالي . وكان الملوك والمشايخ يرسلون السلطات الفرنسية بالعربية . وفي كتاب «دراسات اسلامية من سنغال» يقول الافريقاني الفرنسي «بول مارتي» ان جميع المشايخ كانوا يرسلون السلطات الادارية بالعربية ما عدا الشيخ «بوكنت» زعيم الفرقة القادرية الكنتية ، وصكت النقود حاملة الكتابة العربية مع الكتابة الفرنسية ، وصدرت الجريدة الرسمية الاولى للحكومة الفرنسية في سنغال مكتوبة فيها الاخبار المهمة للاهالي بالعربية والفرنسية . وفتحت في سان لوي عاصمة سنغال الاولى مدرسة فرنسية عربية لاغراء الناس على تعلم الفرنسية مع العربية . قال الافريقاني الفرنسي «روبير ارنو» Robert Arnaud في كتابه (الاسلام وسياسة فرنسا الاسلامية في غرب افريقيا) :

وفي مجموعة الجريدة الرسمية لعامي 1878 - 1879 م الموجودة في مكتبة الاتحاد الثقافي الاسلامي، والتي نقلنا منها النصوص الاليفية في آخر هذا الفصل ، توجد الاخبار الهامة لدى الاهالي مكتوبة بالعربية والفرنسية. والورق المصكوك في دكار بتاريخ 13 اكتوبر 1924 تحمل الكتابة العربية في احدى جهتيها مع الفرنسية في الجهة المقابلة .

دور الطرق الصوفية في التعريب :

ومن اهم النواحي للتعريب في هذا القرن والقرون السابقة من غير شك الطرق الصوفية واهمها في سنغال ثلاث : القادرية والتجانية والمريدية او القادرية المريدية بتعبير ادق . ويظهر تأثير هذه الطرق في مجاليين هامين هما مجال اعلام الاناس والاماكن والمنظمات والعوائد ومجال التعليم ، والمجال الثاني تتكفل ببيانه الفصول المعقودة للمدارس العربية الكبرى في سنغال كمدرسة التجانية في تراوون ومدرسة المريدية في جربل

اما المجال الاول فان تعلق القوم بالشخصيات الصوفية البارزة في هذه الطرق مثل الشيخ سعد ابيه والحاج مالك والشيخ الخديم احمد بمب كان سببا للتبرك بهم والتقرب اليهم بتسمية الانشاء باسمائهم واسماء من تفرع منهم . ولكون هؤلاء متعلقين بدورهم بالوجهاء المشهورين في التاريخ الاسلامي من النبي صلى الله عليه وسلم والصحابه والتابعين وكبار المتصوفة فانهم لا يترددون في اطلاق اسماء هؤلاء على ابنائهم وعلى ابناء من يغيرهم اسماء لمواليهم من المريدين وعلى من اهدوا الى الاسلام بواسطتهم بدلا من اسمائهم العائلية ، فمن هنا نشأ الابوة الروحية محل الابوة النسبية برضى ووافق بين الطرفين . فما يلبث الولفي المتهدي الى الاسلام باسم « جبل » ان يتسمى باسم « محمد الامين » والسرايري المتهدي باسم « تشر » ان يحمل اسم « ابراهيم » والفلاقي المتهدي باسم « جول » ان يحمل اسم « علي » وهكذا . ولو اراد الانسان ان يكتب عناوين الدين سماوا الحاج مالك والخليفة ابا بكره والحاج منصوره من الطائفة التجانية التواونية او عناوين الذين سماوا احمد بمب ومصطفى البكي وبشير البكي من الطائفة القادرية المريدية للزمنه للقيام بهذا

المعمل اضبارة من الاوراق . هذا ولم يمض على ميلاد اكبر هؤلاء سنا الا 115 سنة . فاذا عرفنا ان هذا التعريب يستمر بنفس الحماسة في القادرية واللاهية . ادركنا اي سرعة يسير هذا التعريب الجماهيري في اعلام الاشخاص ويتقدم نحو الشمول.

لا يسعنا وقد تكلمنا في دور الطرق الصوفية عموما في تعريب اعلام الاشخاص الا ان نتكلم من دور المريدية والتجانية التواونية كل منهما في فرع خاص من فروع المجال الاول من التعريب يرت فيها غيرها من ضرائها . لقد فاقنا المريدية في تعريب اسماء البقاع وسبقت التجانية التواونية في تعريب اسماء المنظمات الداخلية المسماة بـ « الدوائر » الموجودة في جميع الطرق السنغالية والتي ابتدعتها مجازاة للمريدية في دساكرها الفلاحية .

ففي اقاليم بول وجلف وجنوب كجور يتجلى دور المريدية في تعريب البقاع حيث قام الشيوخ المريدون بحماسة فائقة بتأسيس الدساكر والقرى والمدن حتى طبعوا المناطق المذكورة بطابع متميز من طابع غيرها من المناطق السنغالية من حيث تعريب كثير من اعلام قراها ودساكرها . فنشروا على ارضها هذه الاسماء الطييفة في السمع مثل : طوبي - دار السلام - دار المصطفى - دار الفسفور - دار المنن - دار المنان - دار النسيم - دار العليم - دار الرحمن دار الرحمة - دار القدوس - الشام - مدينة - طائف - عالية - طوبي فال - طوبي كن ، وسماوا سوق طوبي مهد المريدية هناك .

ونشاط المريدية في تعريب اعلام الامكنة يضاهيه نشاط التجانية في تعريب اعلام المنظمات الداخلية « الدوائر » . ومنذ نشأة هذه الجماعات اختارت القيادة التجانية التواونية تعريب اسمائها فاطلقت على اول جماعة تكونت منها اسم « دائرة الكرام » ثم تنامت الحلقات في هذه السلسلة : دائرة المتهدين - دائرة المنة - دائرة المقتفين - دائرة المتقين - دائرة الوفاء - دائرة المهاجرين والانصار - دائرة المقتدين - دائرة المحسنين - دائرة الابوار - دائرة الخليفة الاكبر - دائرة الخير والبر - دائرة المومنين . الى غير ذلك من الاسماء الزائدة التي اطلقت على مئات الجماعات .

وهذا التعريب الذي يتولى كبره قادة الطرق الصوفية في الاسماء التي يختارونها للقرى والاشخاص والجماعات ادخل في الشعب حماسة مماثلة لعرب الكثيرين منهم اسماء القرى التي اسسوها ويتجلى هذا في الاحياء الشعبية في المدن السنغالية الاساسية حيث اتخذت للكثيرة منها اسماء مثل : فاس - نساط - طوبي - مدينة - دار السلام - مزدلفة الخ ..

خذ خريطة مفصلة للقرى والمدن السنغالية واجل بصرك في اقاليمها المختلفة من الشرق الى الغرب ومن الشمال الى الجنوب او تناول سجل العمال لاحدى المؤسسات الصناعية او سجل الامضاء المنخرطين في احدى الجمعيات ، او اسماء الجنود في احدى الشكاات العسكرية او اسماء التلاميذ في احدى المدارس فسيكون اول ما يلفت انتباهك ذلك العدد الكثير من اسماء القرى والساكن والاشخاص العربية .

فمت انا شخصيا لاختبار سرعة التعريب في اسماء الاشخاص فاعجبني السرعة التي يتم ويسير بها هذا التعريب ، فبينما كانت النسبة المئوية تتردد بين 44 ٪ و 48 ٪ في اواخر القرن الماضي واوائل هذا القرن اعتمادا على القائمين المؤيدين المعدين عن قوائم اسماء كثيرة من الجريدة الرسمية لعامي 1878م و 1879 م اوتفع خلال الستين سنة الماضية الى 69 ٪ و 77 ٪ في عام 1966 م

اما الطريقة التي سلكناها في هذا التحقيق فهي اننا اعددنا ست عشرة قائمة تتألف كل قائمة من مائة اسم . وقد مر في السطور السابقة نتيجة القائمتين الاوليين . ولبتنا في الجدول الملحق بهذا الفصل ثلاث مجموعات من القوائم تتألف المجموعة الاولى منها من ثلاثة قوائم مصدرها جريدة « دكار ماثان » اليومية « Dakar Matin » في عدديها الصادرين يومي الجمعة 22 - 7 - 1960 ويوم السبت 23 - 7 - 1960 . وهي قوائم اسماء النواب المرشحين للانتخاب للحزبين المتنافسين في الحكم في السنة المذكورة . والمجموعة الثانية مصدرها الجريدة المذكورة في عددها الصادر يوم الخميس 18 - 1 - 1968 وهي قائمة اسماء النواب المرشحين للانتخابات التشريعية للعام

المذكور مكملتا بعشرين اسما من الوزراء وكبار المسؤولين في الحكومة . والمجموعة الثالثة مؤلفة من عشرة قوائم ماثوية مصدرها الجريدة المذكورة في عددها الصادر يوم 2 - 8 - 1968 . وهي اكبر المجموعات الاربع واصدقها تمثيلا للواقع لانها تمثل قائمة اسماء الناجحين في امتحانات الدخول في السنة السادسة من التعليم الثانوي واصحاب اسماء هذه القائمة متقاربون في السن لا يجاوز اكبرهم سنا ثلاث عشرة سنة ولا يقل عمر اصغرهم عن احدى عشرة سنة . ويزيد في قيمة هذه المجموعة تمثيلها لجميع اقاليم السنغال السبعة لان الامتحان المذكور يجري في جميع انحاء سنغال وتظهر نتائجه جملة مترتبة الاسماء فيها بترتيب أبجدي ومن هنا انتفت الاقليمية عن نتائج المجموعة .

تأثير العربية في اللغات المحلية

اثرت العربية في لغات سنغال المحلية ولاسيما الولفية والفلاية فقد استعملت كل من الجماعتين الحروف العربية في الكتابة بلفتها ، وذلك منذ زمان قديم مجهول يتسلون ويدونون بها خواطرمهم ، اما الولفية فيوجد بينها وبين العربية شبه كبير من خصائص البناء ليس هذا الكتاب مجالا للتفصيل فيها مثل كون اكثر الانمال الماضية مركبة من ثلاثة حروف ، وتقديم علامة الفارع على اصل الفعل والتلفظ بعلامة الجمع . وتأخير الضمائر المتصلة بالماضي عنه الى غير ذلك .

ونظم الشعراء المستعربون الالف والتكفور القصائد ملتزمين فيها قوانين العروض العربية من التفعيلات والقوافي والبحور واستحدث الشعراء المستعربون الالف فنا شعريا سموه البديع وهو قصائد منها « المصدور » يتألف البيت منها من صدر ولغي وعجز عربي . ومنها المعجوز صدره عربي وعجزه ولغي . ومنها المعشو يحشي القسم الالفسي بين جزئين عربيين ومنها غير ذلك . وسنلحق بهذا البحث نماذج من هذا الفن لبعض الشعراء الولفيين .

طبق المستعربون الفلايون والولفيون قواعد العروض ونظموا قصائد ذات افراض مختلفة كالقصة والوعظ والمدح والهجاء والرناء . ولا ينافي ذلك ان يستنكف الكثيرون من كبار المستعربين عن نظم الشعر

بالاعجمية ، ولعل ذلك ناتج عما يسود هذا المجال من اللغو المنافي للورع والمقاصد الصوفية .

يجد الباحث في العلاقات بين الالفية والعربية ظاهريتين لا محيص من ملاحظتهما والاقترار بهما والاعتراف بهما وهما ظاهرة تأثير العربية في الالفية من حيث الحفظ وابقاء الكثير من مفرداتها وظاهرة تأثيرها فيها باندساس الكثير من مفرداتها اليها .

ففي الظاهرة الاولى نلاحظ ان الكثير من المفردات الالفية المهجورة في المخاطبات ومن ذواكر الاغلبية العظمى من الشعب - غير المستعربين - بقيت محفوظة في صدور المستعربين من الفقهاء واللغويين الالف ، وذلك بفضل المنهج الذي كانوا يسلكونه في الدرس بتفسير كل كلمة عربية على افراد بالالفية الالفية المرادفة لها . وبمرور قرون عدة على تدريس كتب الفقه والاصول والحديث والالفية مثل مختصر خليل في الفقه والورقات ومقامات الحريري ودواوين الشعر الجاهلي وغيرها . ولا شك انه انشاء تطور لفة الحديث بقيت الالفية الشبيهة بالكتابة متحجرة يتناقلها المستعربون كابرا من كابر وحفظت الكثير من المفردات المندرجة من الدواكر . وفي العصر الحاضر لا يمكن لاحد تأليف معجم ولفي كامل قوي دونما استمداد واستعانة هؤلاء المعممين المدرسين في الحلقات المحظوظين بالدراسة على المنهج القديم المستحفظين في ذواكرهم جميع الكلمات الالفية المرادفة لما في مقامات الحريري ومختصر خليل وغيرهما من كتب الفقه والادب . وكفى للاستنبات من هذا الراي ان يستمع اكبر خبراء الالفية لغير المستعربين الى عدة دروس لدى احد المعممين .

اما الجهة الثانية من تأثير العربية في الالفية وهي اندساس كثير من مفردات العربية الى الالفية

نتجلى في تسرب الكلمات العربية العديدة الى الالفية خلال الاحتكاك الطويل بين الالفيتين . والكلمات التي انتحمت على الالفية عربيا ما اتيح لها ذلك النصر الا بالصبر على الجروح الفائرة التي اصابتها انشاء المعركة وهي متمثلة في التحريف المبني والمعنوي واصابها من اللحن والتحريف ما يصيب كلمات كل لغة عندما تفزو غيرها وتتسرب اليها .

والحق ان التحريف المبني للكلمات العربية الالفية اكثر شيوعا من التحريف المعنوي وهذا لا يعني ان كلمة من اطهر الكلمات العربية « صادق » جمع صادق اقبلت ان تفتح دالها وان تكون لها معنى « فاسق » جزاء لدخولها الالفية .

يجرنا الكلام على تأثير العربية في الالفية الى ذكر ما يعترض الكلمة العربية من التحريف حينما تدخل في الالفية والى شرح ابرز قواعد التحريف . ان الكلمة العربية قد تفقد بعض حروفها بالحذف ويتشوه البعض الآخر بالتحريف .

العربية بتضمنها اثني عشرة حرفا غير موجودة بالالفية ، اصلا ، تعرض لتحريف لا محيد منه ، وهذا زيادة على ضروب التعبير التي تترك اثرها في الكلمة العربية . وهذه الحروف هي : ث ح ذ ز ش ص ض ط ظ ع غ ه . اما اشهر دواعي التحريف المبني فهو :

1 - الترخيم : هو ضرب من التحريف ياتي به الالف لظهور التحنن على المعبر منه وهو مستعمل في العربية ايضا ولكن بصورة تختلف عن الصور الالفية في الترخيم ، وقد يكون بحذف اول الكلمة او حذف آخرها ، وهكذا يقولون في :

زئب	نب	سي	جارية	جار	فاطمة	فات
خديجة	جة	خد	محمود	مود	رنية	رق
نفية	نف	»	مبد	اب	حليمة	المه
صفية	سف	»	ابراهيم	اب، ابر	آدم	آد
فرمة	فر	»	هرون	ار	رحمة	رم

4 - يلقبون الشاء ، والذال والزي والشين والصاد والفاء سيناً لأنها غير موجودة في لغتهم : زينب (سينب) صالح (سالو) .

5 - يلقبون الصاد لاما والطاء تاء .

قال الدكتور عبد الواحد وافي في كتابه « علم اللغة » ص 231 ط 4 : « والمفردات التي تقتبسها لغة ما من غيرها من اللغات يتصل معظمها بأمور قد اختص أهل هذه اللغات أو بزوا أو امتازوا بانساجها أو اكثروا استخدامها » وفيما يلي قائمة من الكلمات العربية المولفة التي يبين تأثير العربية في الولفية خصوصاً من الناحية الدينية .

ولعلنا لاحظنا ان العلم « زينب » أصبح شبه مجهول الاصل بعد حذف الحرفية الاخيرين وتبديل الراي في اوله سيناً فلم يبق فيه من اصله العربي الا الياء ومثل هذا يقال في « هرون » وغيره .

2 - ويتحرف العلم بزيادة حرف مد في آخره عند النداء وعدم مراعاة قاعدة الوقف العربية : مود (محمود) مودو ! . سال (صالح) سالو ! . آد (آدم) آدا . .

3 - تغلب العين والهاء والحاء همزة في اول الكلمة وتحذف غالباً في وسط الكلمة : حبيب (ابيب) حليلة (الة) عبد الله (ابلاي) هادي (آد) هائشة (ابسة) هرون (آرون) محمد (مد) معاذ (ماس) مهدي (مدي) .

الكلمات العربية المولفة :

الزواية (مكان تجمع الصوفية للذكر)	حساء	انتجى	اجل (نسم)
الزيارة	الخاتم	التوبة	آدم
الزكاة	الخبر	التوفيق	ابيس
الساعة	الخطبة	النسيم	الانين
السبب	الخليفة	الثلاثاء	الاحد
السبب	الخميس	الجمعة	الاخرة
سبح	الدائرة	الجامع	الاربعة
الشر	الدابة	الجان (الحبة)	اسرائيل
السجادة	الدار	الجاهل	الاول (الكاس الاولى من الشاي خاصة)
السجود	الدبران	جبريل	البيت (الجزء من القصيدة)
السر	دجنبر	الجلباب	البدمعة
السطر	الدراية	الجمعة	البرادة
السطل	الدرجة	الجن	البرزخ (مقر الارواح بعد الموت وقبل البعث)
السكر	الدرهم	الجنة	البركة
السلام	الدنيا	الجنزة	البطاقة
السلام عليكم	الدواة	الجهاد	البلاء
السماء	الدبة	جهنم	البهيمية
السنة	الدين	الجو	التخممة
السورة	الذكر	الجيب	التربية (بالمعنى الصوفي)
الشرح	ذو الوجهين	الحاج	الترجمان
الشرط	الراية	الحاجة	التبيح
الشريف	الربا	الحج	التفسير
الشفل	الركمة	الحديث	التهمة
الشیطان	الركوع	الحرام	
الصابون	الروح	الحرف	
الصبح	الروضة	الحرمة	
الصدقة		الحق	

ما قالت اذ كنت املودا كلمتها
 بهيم ليل سوادا فعادة نومه
 لكن للشيب في نوذي وجمجمتي
 وخطا وخطا فعدراء النسا نيمه

— * —

الا ارمواء لمن ولت شبيبته
 وآذنت بمشيب معلم هرمه
 بل كل ضيف كريم القوم حوله
 قرى عليه وهذا شيبه كنمه
 فاقره - ان ترى ما عشت شادي من
 هو الشفيح وكل قائل تلجه
 من ذاته كل ذات لازمت هرفها
 في عشر شعرها لو تفتدى سقمه
 من كل جرم له قدر يعمره
 عند الفراغ فدهاء والفداد بيمه
 من دونه كل منطوق بحرف هجا
 في الاسم الا الها غيره سكمه

من تحتته كل موجود له جهة
 من أي ست وربى أنني نرمة
 محمد سيد السادات لا أحد
 منهم مدائيه او قاللا كنمه
 صلى عليه اله المرش ما رجيت
 شفاعة منه او قول له ولمه
 يا من شفاعة يرجو وياملها
 اهل الكباثر امثالي فدا نومه
 فان جاهك عند الله منجمل
 هو العظيم ففى الاهوال فتلكمه
 احوال دنياي او احوال آخرتي
 او برزخ ثم من ذكرالك ديلتمه
 لا زلت انيبك واسمع ما اردده
 يا خير من يرجيه مريج وبمه
 وقال الشيخ ماجورسيه متحديا للقاخي
 مجنحت كل ومنوها بشأن الشيخ احمد بيب :

الصراف	القلم	ما رغبته عليه	النافة
الضر	القطفان	مارس	النصراني
الضميف	الاقوال	الحراب	النفس
الطالب	القياس	المدارة	الهديّة
الطبل	القيمة	المربط	الهلاك
الطريقة	لقصة	المسبح	الورقة
الطيرة	الكافد	المسبح الدجال	الوقت
مزرائيل	الكافور	المسك	الوكيل
المادة	الكاس	المسكين	الوظيفة
المورة	الكامل	المصاحبة	الورد
المعيب	الكمال	المعنى	الوفاء
الفنوث	الكرامة	المقامة	الولي
الفتنة	كش	المكان	يرحمك الله
الفجر	الكفر	الملحفة	يهديك الله
القاضي	الكلام	الملاك	يوم القيامة
القبر	الكوب	المهدي	الزمن
القبة	لا بد	المنبر	المرش
فدوس	الله	الميراث	اليهود
القعيدة	الروح	ميكايل	القصة
القطب	الماموم	المنافق	الشر
القرنفل	المثال	لنافلة	الآية

لم انهمت بعد شيب هبرة وبمه
 اراقها كلمتا سمدى بيه وبمه ؟
 اذ كلمتني بتبين الكلمتين بلا
 هول ومزج بدا لي انها بيمه
 وان جبل وصال صار منصرما
 او واهنا خلقا تجدیده نومه
 مالي اراشي ان لامت هانية
 عصر الشباب تقبل او تقل بيمه
 واليوم ان لامت خودا يدي لمبا
 تالفت ثم نادى : « يا ابي سرمه ا »
 وكل ناهدة الشديين تلحظني
 بيمين سخط فتعلي صوتها فومه
 وان لهوت تلمت او دنوت نات
 وان اسل فجاب مندها خممه
 كل كامب واعدتني زورة مثقا
 زمان شرخي ولما جئتها نغمه

أبدى الكجوري فنا في البديع « كمن
ندف « بديعا كما أبدى وما بديعا

ان الحقيقة بحر غاص فيه « تفسر
درمو « عند التقاط الفائص الودعا

اجاد مدح النبي الهاشمي « توح
سخلا مبتم « واجاد المدح والقدمعا

فالابث ليث عريض الساعدين « كجس
جغم « تيقن ان قد طال ما صرعا

نقى وحوش الفلا عن ارضه « بجندو
جنى ج سو لم س « لاسيدا ولا ضيما

— * —

لكن هنالك شبل رابض « بجكى
ج خمن « ان سيجيد الصيد والنقعا

لولا حياء وتقوى ربه « اكتم
د دول يم « شب سرا عالما ورعا

وحرمة الشيخ « اكتم مولك مك ث بدون
ك ملن من « رد ماء حيشما نبعما

